

حكم الاستثناء في الإيمان

س24: ما حكم الاستثناء في الإيمان بقوله: أنا مؤمن إن شاء الله ؟ الجواب: في ذلك خلاف، والمحترر أنه يجوز إذا كان القصد بالإيمان الكامل، فإن الإيمان يزيد وينقص، والناس فيه متفاوتون بحسب أعمالهم، وقد ذكر الله الإيمان الكامل في مثل قوله -تعالى- { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُبَيَّنَ عَلَيْهِمْ أَيْمَانُهُمْ رَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } . وهذا الوصف لا يستكمله كل من دخل في الإيمان، فمن قال: أنا مؤمن حقا. وقصد أنه من المتصفين بكمال الإيمان، فقد زكي نفسه، وجزم بما لم يتحقق وجوده فيه، فإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله. وأراد رجاء أن يدخل في هذه الآية فهو صادق، وهكذا من استثنى وأراد عدم علمه بالعواقب، حيث إنه لا يدرى ماذا يختتم له عمره، وإنما الأعمال بالخواطير. وكذا يجوز أن يستثنى للثبرك ولتعليق الأمور المستقبلة بمشيئة الله -تعالى- ولا يدل ذلك على الشك والتردد، كما قال -تعالى- { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلُ ذَلِكَ عَدًّا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } . وقد ذهب قوم إلى وجوب الاستثناء في الإيمان دائمًا تعليلاً بعدم العواقب، فالأعمال بالخواطير، ولا تتصف الإنسانية غالباً بالنقص والخلل، وتترك الكثير مما يجب عليه، فإن العبد لا يجزم بأنه من المتقين الإبرار أهل الجنة، وإنما يرجو ذلك برحمة الله، وقد ذكر الله الاستثناء فيما لا شك فيه، كقوله -تعالى- { لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ } ونحو ذلك لتعلق الأمور المستقبلة بمشيئة الله -تعالى-. فما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن، { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } والله أعلم.